السياق القرآني وأثره في حل غوامض التفسير

دراسة تحليلية

إعداد الدكتور

أحمد عطا محمد عمر

الأستاذ المساعد بقسم الكتاب والسنة

جامعة أم القرى، مكة المكرمة

المملكة العربية السعودية

السياق القرآني وأثره في حل غوامض التفسير دراسة تحليلية

أحمد عطا محمد عمر

قسم الكتاب والسنة، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية.

البريد الإلكتروني: ahmad.atta.omar@gmail.com

الملخص:

تدور هذه الدراسة حول علم السياق القرآني، وأهميته في التفسير، وتهدف إلى إبراز هذا العلم كأصل مهم من أصول التفسير، وبيان أثره العظيم في الكشف عن المعاني الغامضة في التفسير.

بدأت الدراسة بالتعريف بعلم السياق القرآني؛ فبينت معناه في اللغة والاصطلاح، وأهميته في علم التفسير. ثمّ عرضت للحديث عن غوامض التفسير، وبينت موقعها من البيان، ثمّ انتقلت إلى الجانب التطبيقي، فبينت من خلال الأمثلة المختارة: أثر السياق في تعيين المبهمات وأثره في توجيه أسباب التغاير في الآيات المتشابهات وأثره في توجيه آيات أشكل تفسيرها على الناس

ثم ختمت بأبرز النتائج والتوصيات، التي آمل أن تؤخذ بعين الاعتبار، وقد اتبعت المنهج الاستقرائي، الذي يقوم على استقراء مادة هذا البحث واستخراجها من مظانها الأصلية من كتب التفسير وغيرها، ودراستها، وجمع نماذج تطبيقية تفي بالغرض المطلوب، ومن ثّم تنظيمها وترتيبها وفق خطة البحث، مع مناقشة المسائل التي تستدعي المناقشة، في ظل السياق الدلالي للآيات التي هي مدار البحث، مستعينًا في ذلك بأقوال علماء اللغة والمفسرين والبلاغيين، وغيرهم من العلماء، وكذلك المنهج التحليلي الاستنتاجي، لاستخراج المعاني والأحكام من النصوص والتراكيب بعد دراستها وتحليلها.

الكلمات المفتاحية: السياق القرآني، السياق في التفسير، كشف المعاني، المبهمات، غوامض التفسير.

The Qur'anic Context and its Impact upon solving the Mysteries of Interpretation، an Analytical Study

By: Ahmed Atta Mohammed Omar
Department of The Holy Qur'an and Sunnah
College of Da' wah and Fundamentals of Religion
Umm Al-Qura University
Mecca- Saudi Arabia

Abstract

This research revolves around the science of Qur'anic context and its importance for the science of interpretation. The research is also keen to establish this science as an important basis upon which the science of interpretation relies. In addition، the research highlights the great impact of this science upon finding out the mysterious meanings of interpretation. As for the practical part، the research is keen to display، through selected examples، the impact of the context clarify the mysteries and specify the reasons beyond differences in between similar verses، and the orientation of the verses with which people have experienced difficulties with their interpretation. The research closes with the outstanding findings and recommendations. The research has followed the inductive approach which relies on tracing the source material of this research and exploring its origins be they the books of interpretation etc. Moreover، the research examines this material and included several practical examples which would satisfy the requirements of the main objectives. Next، those practical examples are organized according the research plan. The research has also relied on the statements of linguists، interpreters، rhetoricians and other scientists in the discussion of the due issues relevant to the context and semantics of the Qur'anic verses. The analytical and deductive approach is also utilized in the research to find out about meaning and provisions shaped within the texts and structures by means of study and analysis.

Key words: Qur'anic context، the context of interpretations، finding out about meaning، mysteries، the mysteries of interpretations.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد.

ففروع العلوم كثيرة، ومتنوعه، وشرف كلّ علم إما بشرف موضوعه، وإما بشرف غرضه، وإما لشدة الحاجة إليه. وعلم السياق في القرآن الكريم من العلوم التي نالت أنواع الشرف كلها من الموضوع والغرض وشدة الحاجة؛ فكانت له أهمية وعناية بالغة عند كثير من المفسرين في القديم والحديث.

وهذه الدراسة التي أقدمها الآن هي واحدة من كم وفير من الدراسات التي بحثت في علم السياق وأهميته. جاءت فكرة اختيارها لقناعتي الراسخة بأهمية هذا العلم في التفسير وبيان الإعجاز. ومن جهة ثانية أنني لم أجد من تتبع قضية أثر السياق في حلّ غوامض التفسير خصوصًا، وإن كانت هناك جهود مشكورة لكنها مفرقة هنا وهناك، أو متخصصة في جوانب أخرى عديدة بعيدة نوعًا ما عن خطة هذا البحث، أو لم تتطرق لجميع الجوانب التي يهدف لها. وهذا ليس عيبًا في الدراسات السابقة؛ ولكنّ القرآن الكريم خزينة لا تحصى جواهرها ولا تنقضي عجائبها، فما من آية بل ولا كلمة إلا وقد بحث العلماء في علومها وأسرارها وهي مع ذلك لا تزال متجددة مع الأيام وفهم الإنسان عنها قاصر.

أهمية الدراسة:

أولا: تكشف هذه الدراسة عن أصل مهم من أصول التفسير يغفل عنه الكثير من المشتغلين بالتفسير.

ثانيا: تكشف عن مكنونات كثير من المعاني التي تختفي معانيها وراء سياق الكلام.

ثالثًا: فيها ردّ على مزاعم المشككين في الدين، ودفع لشبه الطاعنين.

أهداف الدراسة: تهدف هذه الدراسةُ إلى:

أولًا: بيان مدى أهمية السياق في الكشف عن معاني القرآن بشكل عام.

ثانيا: بيان أهمية السياق في كشف الغموض والإبهام في كثير من معاني القرآن

ثالثا: إظهار أثر السياق في دفع التعارض والاختلاف عن نصوص القرآن

منهج البحث: يقوم هذا البحث في الدرجة الأولى على منهجين:

أحدهما: المنهج الاستقرائي، الذي يقوم على استقراء مادة هذا البحث واستخراجها من مظانها الأصلية من كتب التفسير وغيرها، ودراستها، وجمع نماذج تطبيقية تفي بالغرض المطلوب، ومن ثّم تنظيمها

وترتيبها وفق خطة البحث، مع مناقشة المسائل التي تستدعي المناقشة، في ظل السياق الدلالي للآيات التي هي مدار البحث، مستعينًا في ذلك بأقوال علماء اللغة والمفسرين والبلاغيين، وغيرهم من العلماء.

والثاني: المنهج التحليلي الاستنتاجي، لاستخراج المعاني والأحكام من النصوص والتراكيب بعد دراستها وتحليلها.

الدراسات السابقة: تناول العلماء والباحثون، موضوع السياق القرآني ضمن دراسات كثيرة: في كتب اللغة وعلوم القرآن والتفسير والإعجاز، وكتب خاصة في علم السياق ورسائل جامعية وأبحاث علمية كثيرة، إلا أنّ تلك الدراسات الكثيرة ـحسب علمي واطلاعيـ لم تفرد موضوع: السياق القرآني وأثره في حل غوامض التفسير بدراسة خاصة. وهذا ما سيتناوله هذا البحث، وأملي أن تكون هذه الدراسة، مما يسدّ نقصًا في هذا الجانب، وسببًا وتشجيعًا، لكتابة بحوث أخرى مفيدة في علوم القرآن وبلاغته.

خطة البحث:

الفصل الأول: التعريف بمصطلحات البحث: علم السياق القرآني، وغوامض التفسير

المبحث الأول: علم السياق القرآني وأهميته في التفسير

المطلب الأول: تعريف السياق لغة واصطلاحًا

المطلب الثاني: أهمية دلالة السياق القرآني في التفسير

المبحث الثاني: غوامض التفسير وموقعها من البيان

المطلب الأول: غوامض التفسير لغة واصطلاحًا

المطلب الثاني: مكانة غوامض التفسير من البيان

الفصل الثاني: الدراسة التطبيقية لأثر السياق في حل غوامض التفسير

المبحث الأول: أثر السياق في تعيين المبهمات

المبحث الثاني: أثر السياق في توجيه أسباب التغاير في الآيات المشتبهات

المبحث الثالث: أثر السياق في توجيه آيات أشكل تفسيرها

الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات

قائمة المصادر والمراجع

الفصل الأول

التعريف بمصطلحات البحث: علم السياق القرآني، وغوامض التفسير

المبحث الأول: علم السياق القرآني وأهميته في التفسير

المطلب الأول: تعريف السياق لغة واصطلاحًا.

تعريف السياق لغة:

قال ابن فارس: "السين والواو والقاف أصل واحد وهو حذو الشيء. والسيقة ما استيق من الدواب.. والسّوق مشتقة من هذا لما يساق إليها من كل شيء والجمع أسواق"(١).

وقال الراغب:" سوق الإبل جلبها وطردها، والسَّيِّقَةُ: ما يساق من الدّواب وسقت المهر إلى المرأة، وذلك لأن مهورهم كانت الإبل، والسَّوِيقُ سمّي لِانسواقه في الحلق من غير مضغ "(٢).

وقال الجوهري: "السياق نزع الروح"(٣). وفي المعجم الوسيط: " سياق الكلام تتابعه وأسلوبه الذي يجري عليه" (٤)

فاستعمالات هذه الكلمة تدور على معنى التتابع والتوالي والاتصال، فسوق الإبل تتابعها، وسياق المهر إلى المرأة كان الأصل فيه أن يكون من الإبل والدواب التي تساق إليها ثم استعمل في الدراهم والدنانير فيما بعد، وكذا السوق لما يساق إليها من البضائع، وسياق الموت؛ لأنَّ الروح فيه تنساق لتخرج من البدن، وقولهم ولدت فلانة ثلاثة بنين على ساق واحدة، فيه معنى التتابع والاتصال، فلم يفصل بينهم بجارية، وسياق الكلام تتابعه وهكذا.

تعريف السياق اصطلاحاً:

يقصدون به غالبًا: فهم القرآن بمراعاة السابق واللاحق، أو الأحوال المتعلقة بخطابه؛ لأن القرآن الكريم

---

(١) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ج٢ ص١١٧، دار الفكر ١٣٩٩م ، بيروت، لبنان.

(٢) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ج١ ص٤٣٦.

(٣) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري، ج٤ ص١٤٩٩

(٤) المعجم الوسيط إبراهيم مصطفى وآخرون، مادة سوق ج١ ص٤٦٤.

وإن تعددت قضاياها، فهي كلام واحد يتعلق آخره بأوله، وأوله بآخره ويترامى بجملته إلى غرض واحد، كما تتعلق الجمل بعضها ببعض في القضية الواحدة [١].

فكلمة سياق تأتي في كتب التفسير للتعبير عن المعاني التالية:

المعنى الأول: الغرض الذي سيق الكلام لأجله [٢]

المعنى الثاني: جملة العناصر المقالية المحيطة بالنص.

وهذا ما تدل عليه عبارة ابن جزي: "يشهد بصحة القول سياق الكلام ويدل عليه ما قبله وما بعده"[٣]

وقال العطار ـ:" قرينة السياق هي ما يؤخذ من لاحق الكلام الدال على خصوص المقصود او سابقه"[٤]

المعنى الثالث: ما يلحق الآية أو الجملة فقط دون ما يسبقها.

وهذا ما تدل عليه عبارات بعض المفسرين: " صدر الآية وسياقها" [٥] و " هذا ما يقتضيه سياق الآية وسباقها "[٦] أو "هذا التفسير لا يساعده السباق ولا السياق"[٧] ونحو ذلك.

المعنى الرابع: كلّ ما يحيط بالآية الكريمة من عوامل داخلية وخارجية وقرائن وأحوال لها أثر في فهمه، فيدخل في ذلك سبب النزول والظروف والأحوال التي نزل القرآن بشأنها.

وهذا المعنى وإن لم يصل من حيث الشهرة والتداول إلى المعاني السابقة إلا أنه موجود في كلام بعض المفسرين، ولابن تيمية كلام شبه صريح في هذا، حيث يقول: " ينظر في كل آية وحديث بخصوصه وسياقه وما يتبين من معناه من القرائن والدلالات فهذا أصل عظيم مهم نافع في باب فهم الكتاب

---

(١) انظر: كتاب الموافقات، الشاطبي، ج٤ص ٢٦٨، والنبأ العظيم، دراز، ص ١٩٢.

(٢) حاشية العطار على جمع الجوامع ج١ ص٣٢٠..

(٣)التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، ج١ ص ٩

(٤) حاشية العطار على جمع الجوامع ج١ ص٣٢٠..

(٥) انظر: (كشف الأسرار عن أصول فخر الدين البزدوي)، ج٢ ص٩٨

(٦) انظر: روح المعاني، الآلوسي، ج١ ص٣٧٤، ج٤ ص١٨٨، ج١١ ص١٩٥، ١٩٦.

(٧) انظر: إرشاد العقل السليم، أبو السعود ج٢ص١٢٢، ج٤ص٢٠٦، ص٢٧٧، ص٣٨٣

والسنة"[١].

فكلام المفسرين القدامى عن السياق لا يحمل معنى واحدًا، وإنما يحمل مجموعة من العناصر والمفاهيم؛ ولذلك اختلف الباحثون في تعريف السياق اصطلاحًا إلى قولين أساسيين:

القول الأول: السياق هو ما يدل على خصوص المقصود من سابق الكلام المسوق لذلك أو لاحقه"[٢]، وهذا ما اختاره الباحث عبد الحكيم القاسم فقال في تعريفه: "تتابع الكلام وتساوقه وتقاوده"، ودلالة السياق: " فهم النص بما قبله أو بعده"[٣] والمثنى عبد الفتاح بقوله: "تتابع المعاني وانتظامها في سلك الألفاظ القرآنية لتبلغ غايتها الموضوعية في بيان المعنى المقصود، دون انقطاع أو انفصال"[٤]

والقول الثاني: أن دلالة السياق تشمل الجو العام الذي يحيط بالآيات من قرائن ومناسبات وعلامات وأسباب وأحوال أخرى نزل القرآن بشأنها" [٥].

وهذا ما اختاره الباحث الشهراني بقوله: " ما يحيط بالنص من عوامل داخلية أو خارجية لها أثر في فهمه من سابق أو لا حق به أو حال المخاطِب والمخاطَب، والغرض الذي سيق له والجو الذي نزل فيه"[٦] والشتوي بأنه: "هو الغرض الذي تتابع الكلام مدلولاً عليه بلفظ المتكلم أو حاله أو أحوال الكلام أو المتكلم فيه أو السامع"[٧] والربيعة بأنه " الغرض الذي ينتظم به جميع ما يرتبط بالنص من القرائن

(١) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ج٦ ص ١٨ .

(٢) حاشية النباتي على جمع الجوامع ج ١ ص٢٠.

(٣) دلالة السياق القرآني وأثرها في التفسير ص٦٢، رسالة ماجستير، جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض، ١٤٢١هـ

(٤) نظرية السياق القرآني، المثنى عبدالفتاح ص ١٥ .

(٥) انظر: وسائل الربط في القرآن من خلال السياق، رابحة محمد ضعين سعد، ، ص ٩، رسالة ماجستير جامعة الكويت.

(٦) السياق واثره في التفسير،الشهراني، ج١، ص٢٩.

(٧) دلالة السياق و أثرها في توجيه المتشابه اللفظي في قصة موسى دراسة نظرية تطبيقية، الشتوي، فهد بن شتوي عبدالمعين، ص ٢٧، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، ٢٠٠٥م.

اللفظية أو الحالية"[١] .

والصحيح أنّ دلالة الحال دلالة مستقلة عن دلالة السياق، ولكنها من متعلقاته ومتمماته. وهي لا تقل أهمية في الترجيح عن أهمية السياق، فهما دلالتان متكاملتان في تأدية المعنى، ولكنّهما مختلفان تماما في معناهما الاصطلاحي.

قال ابن دقيق: " ويجب أن تتنبه للفرق بين دلالة السياق والقرائن الدالة على تخصيص العام، وعلى مراد المتكلم"[٢].

ثم قوله: "وأما السياق والقرائن فإنها دالة على مراد المتكلم من كلامه، وهي المرشدة إلى بيان المجملات وتعيين المحتملات، فاضبط هذه القاعدة فإنها مفيدة في مواضع لا تحصى"[٣].

المطلب الثاني: أهمية دلالة السياق القرآني في التفسير

تستمد دلالة السياق أهميتها من كونها تفسيرًا القرآن بالقرآن، وهو أفضل طرق التفسير، وأصحها حيث إنه لا أحد أعلم بمعاني الكلام من المتكلم نفسه، فإذا بين مراده من نفسه فإنه لا يعدل عنه إلى غيره.

وقد أجمع العلماء على ذلك. فما أجمل في مكان بين في مكان آخر، وما اختصر في مكان بسط في مكان آخر[٤]، ولهذا اعتنى العلماء به وعدوه من قواعد التفسير وأسسه الصحيحة.

وروى في أهميته عن مسلم بن يسار أنه قال: " إذا حدثت عن الله حديثًا فقف حتى تنظر ما قبله وما بعده"[٥].

---

(١) أثر السياق القرآني في التفسير دراسة نظرية تطبيقية على سورتي الفاتحة والبقرة، الربيعة، محمد بن عبدالله بن عبد الرحمن ص١٩، رسالة دكتوراه، جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض، ١٤٢٧هـ..

(٢) إحكام الأحكام في شرح عمدة الأحكام)، ابن دقيق ج١ ص٢٧٨.

(٣) المرجع السابق.

(٤) انظر: مجموع الفتاوى، ج١٣، ص٣٦٣.

(٥) رواه أبو عبيد (القاسم بن سلام) في فضائل القرآن، ج١، ص٣٧٧، باب تأويل القرآن بالرأي، وأورده ابن كثير في مقدمة تفسيره، ج١، ص١٤، وعزاه لأبي عبيد.

وقال ابن تيمية: " من تدبر القرآن وتدبر ما قبل الآية وما بعدها وعرف مقصود القرآن تبين له المراد، وعرف الهدى والرسالة وعرف السداد من الانحراف والاعوجاج"(١).

ولعل من أبرز الأوجه التي تظهر أهمية السياق ما يلي:

أولاً: من أعظم القرائن الدالة على فهم المراد(٢):

فملاحظة السياق ومعرفته في القرآن تعين على تفسير القرآن بالقرآن، وتصحح الكثير من النتائج والأحكام(٣). وقال الجويني :"المعاني يتعلق معظمها بفهم النظم والسياق"(٤)

وقال ابن القيم: "السياق يرشد إلى تبيين المجمل وتعيين المحتمل والقطع بعدم احتمال غير المراد وتخصيص العام وتقييد المطلق وتنوع الدلالة. وهذا من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم فمن أهمله غلط في نظيره وغالط في مناظرته" (٥). وضرب مثالاً لذلك في قوله تعالى:﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴾[الدخان: ٤٩]. فسياقها جعلها تدل على أنه الذليل الحقير، ولو نظرنا إليها معزولة عن سياقها الذي وردت فيها لأحتمل أن يكون معناها التكريم والتعظيم(٦)

ثانيا: رعاية السياق تسهم في حلّ غوامض التفسير

كما في قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴾[الأنعام: ٤٤] فظاهر الآية أنه فتح عليهم أبواب كلّ شيء على العموم، والصحيح أنّ هذا العموم مخصوص، معناه: ما كان مسدودًا عليهم بالبأساء والضراء

(١) مجموع الفتاوى ج١٥ ص ٩٤ .

(٢)البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ج٢، ص٢٠٠.

(٣)انظر: السياق، المفهوم، المنهج، النظرية، العلواني ص ٢٢-٢٣.

(٤) البرهان في أصول الفقه، الجويني، ج٢ ص ٨٧..

(٥) بدائع الفوائد، ابن القيم، ج ٤ ص ٩..

(٦) انظر: تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة ص ٢١٣.

من النعم الدنيوية [1].

والذي ساعد على تجلية هذا المعنى وحلّ الإشكال هو مراعاة السياق، وهذا ما بينه الإمام الطبري بقوله: فإن قال لنا قائل: وكيف قيل: ﴿ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ وقد علمت أنّ باب الرّحمة وباب التّوبة لم يفتح لهم، وأبواب أخر غيره كثيرة؟

قيل: إنّ معنى ذلك على غير الوجه الّذي ظننت من معناه، وإنّما معنى ذلك: فتحنا عليهم استدراجا منّا لهم أبواب كلّ ما كنّا سددنا عليهم بابه عند أخذنا إيّاهم بالبأساء والضّرّاء، ليتضرّعوا، إذ لم يتضرّعوا وتركوا أمر اللّه، لأنّ آخر هذا الكلام مردود على أوّله، وذلك كما قال تعالى ذكره في موضع آخر من كتابه: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّآ أَخَذْنَآ أَهْلَهَا بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴿٩٤﴾ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَواْ وَّقَالُواْ قَدْ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ فَأَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ [الاعراف: ٩٤_٩٥]

ففتح الله على القوم الذين ذكر في هذه الآية أنهم نسوا ما ذكرهم، بقوله: ﴿ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ ﴾[الأنعام: ٤٤]، هو تبديله لهم مكان السيئة التي كانوا فيها في حال امتحانه إياهم، من ضيق العيش إلى الرخاء والسعة، ومن الضر في الأجسام إلى الصحة والعافية، وهو"فتح أبواب كل شيء" كان أغلق بابه عليهم، مما جرى ذكره قبل قوله:

﴿ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ ﴾، فردّ قوله:﴿ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ ﴾، عليه[2].

ثالثاً: رعاية السياق تساعد في الترجيح بين الأقوال

ومثال ذلك قوله تعالى:﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۙ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾ [الأنعام: ٩١].

(١) انظر: المحرر الوجيز، ج٢، ص٢٩٢، والتفسير الكبير، ج١٢، ص١٨٦، ولباب التأويل،ج٢، ص١١٢.

(٢)جامع البيان، الطبري، ج١١، ص٣٥٨.

اختلف العلماء في المقصود بهذه الآية على أقوال كثيرة، ملخصها أنها نزلت في بعض اليهود أو مشركي العرب، وقد ذكر الإمام الطبري هذه الأقوال وأسندها لأصحابها، ثم قال: " وأولى هذه الأقوال بالصواب في تأويل ذلك، قول من قال: عني بقوله :﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ ﴾ مشركو قريش وذلك أن ذلك في سياق الخبر عنهم أولا فأن يكون ذلك أيضا خبرا عنهم، أشبه من أن يكون خبرا عن اليهود ولما يجر لهم ذكر يكون هذا به متصلا مع ما في الخبر عمن أخبر الله عنه في هذه الآية، من إنكاره أن يكون الله أنزل على بشر شيئا من الكتب، وليس ذلك مما تدين به اليهود، بل المعروف من دين اليهود: الإقرار بصحف إبراهيم وموسى وزبور داود" (١).

وهناك فوائد أخرى كثيرة، يمكن ردها إلى الإعانة على التفسير، والترجيح بين الأقوال وحلّ مشكلات وغوامض التفسير، وسناتي على كثير من الأمثلة عند الدراسة التطبيقية.

المبحث الثاني: غوامض التفسير وموقعها من البيان

المطلب الأول: غوامض التفسير لغة واصطلاحًا:

قال ابن فارس: الغين والميم والضّاد أصل صحيح يدلّ على تطامن في الشّيء وتداخل. فَالْغَمْضُ: ما تطامن من الأرض، وجمعه غُمُوضٌ. ثمّ يقال: غَمَضَ الشَّيْءُ من العلم وغيره، فهو غَامِضٌ، وَدَارٌ غَامِضَةٌ، إِذَا لَمْ تَكُنْ شَارِعَةً بَارِزَةً (٢).

وغوامض: جمع غامض، وأصله من الغموض وهو الخفاء(٣). يقال: "غَمُضَ الأمر" خفي ماخذه ومعناه، لم يفهم(٤). والغمْضُ: خلاف الوضوح، والجمع أغماض، وغموض. وأمر غامض، مُبْهَم مغلق غير واضح(٥).

---

(١) جامع البيان، الطبري، ج١١، ص٥٢٤.

(٢) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ج٤، ص٣٩٥.

(٣)التفسير البَسيط، الواحدي، ج٤، ص٤٢٥.

(٤) معجم اللغة العربية المعاصرة، باب الغين، فصل (غمض)، ج٢، ص١٦٤٣.

(٥) انظر: أساس البلاغة، الزمخشري، كتاب الغين، باب (غمض)، ج١، ص٧١٢، ولسان العرب، باب الضاد، فصل الغين المعجمة، ج٧، ص٢٠١.

وغوامض التفسير: هي كل ما فيه خفاء فيه المعنى: من المجمل، أو المشترك اللفظي، أو الخفي أو المشكل أو المتشابه.

وإليك بيان هذه الأمور:

المجمل: هو المبهم(١)، وقيل: "هو ما لا ينبئ عن المراد بنفسه، ويحتاج إلى قرينة تفسره (٢). وقيل: "هو اللفظ الذي لا يدل بصيغته على المراد منه، ولا توجد قرائن لفظية أو حالية تبينه، فسبب الخفاء فيه لفظي لا عارض" (٣).

والمشترك اللفظي: وهو اللّفظ الواحد الدّالّ على معنيين مختلفين أو أكثر دلالة على السّواء عند أهل تلك اللّغة (٤).

والخفي: اللفظ الذي يدل على معناه دلالة ظاهرة، ولكن في انطباق معناه على بعض الأفراد نوع غموض وخفاء تحتاج إزالته إلى نظر وتأمل (٥).

والمشكل: اسم فاعل من قولهم: أشكل عليه الأمر، أي اختلط (٦)، وفي الاصطلاح: "هو ما لا يُنال المراد منه إلا بتأملٍ بعد الطلب"(٧). أو "اللفظ الذي لا يدل بصيغته على المراد منه، بل لا بُدَّ من قرينة خارجية تُبيّن ما يُراد منه" (٨)

والمتشابه: أصل (التّشابه) : أن يشبه اللفظ اللفظ في الظاهر، قال ابن قتيبة:"ثم يقال لكلّ ما غمض ودقّ

(١) البرهان في أصول الفقه، الجويني، ج١، ص١٥٣.

(٢) العدة في أصول الفقه، ابن الفراء، ج١، ص١٤٢.

(٣) علم أصول الفقه، خلاف، ج١، ص١٧٣.

(٤) البحر المحيط في أصول الفقه، الزركشي، ج٢، ص٢٧٧.

(٥) علم أصول الفقه، خلاف، ج١، ص١٧٠.

(٦) لسان العرب، باب اللام، فصل الشين المعجمة، ج١١، ٣٠٧.

(٧) علم أصول الفقه، خلاف، ج١، ص١٧١.

(٨) التعريفات،الجرجاني، ج١، ص٢١٥.

متشابه، وإن لم تقع الحيرة فيه من جهة الشّبه بغيره"[١]. وقال الشاطبي: " المتشابه: ما أشكل معناه، ولم يتبين مغزاه"[٢] وقال الجرجاني: "هو ما خفي بنفس اللفظ ولا يرجى دركه أصلًا" [٣].

وقيل: "هو ما لا يدرى إلا بالتأويل، ولا بد من صرفه إليه"[٤]. قال الباجي: "المتشابه هو المشكل الذي يُحتاج في فهم المراد منه إلى تفكر وتأمل"[٥].

وعزا ابن تيمية كلا المصطلحين إلى السلف، وقال: كان السلف يسمون ما أشكل على بعض الناس حتى فهم المراد منه غير المراد متشابهًا "[٦].

ويتبين لنا مما سبق، أنّ غوامض التفسير، ليس شيئًا واحدًا، وإنما هو مصطلح، يشمل كل غموض وإشكال يطرا على النص القرآني، سواء في اللفظ أو المعنى.

المطلب الثاني: مكانة غوامض التفسير من البيان

نعلم مما سبق أن غوامض التفسير، تأتي بسبب خفاء مراد الشارع من كلامه، ومنه ما يرجع خفاؤه إلى اللفظ، ومنه ما يرجع خفاؤه إلى المعنى، ومنه ما يرجع خفاؤه إلى اللفظ والمعنى معًا.

فالقسم الأول: يرجع إلى الألفاظ المفردة: من حيث الغرابة أو الاشتراك، ويرجع أحيانا إلى جملة الكلام المركب بسبب الاختصار أو البسط أو النظم.

والقسم الثاني: يشمل ما تعلق بأوصاف الله تعالى وأوصاف القيامة، لأن تلك الأوصاف لا تتصور لنا ولا تحصل في نفوسنا[٧].

---

(١) تأويل مشكل القرآن، ج١، ص٦٨.

(٢) الاعتصام، الشاطبي، ج٢، ص٧٣٦.

(٣) التعريفات، الجرجاني، باب الميم، ج١، ص٢٠٠ .

(٤) البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ج٢، ص٧٠.

(٥) إحكام الفصول في أاحكام الأصول، الباجي،ج١، ص١٧.

(٦) بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، ابن تيمية، ج٨، ص٤٩٩.

(٧) المفردات في غريب القرآن، الراغب، ج١، ص٤٤٣، والإتقان في علوم القرآن، ج٣، ص١١.

ثم جميع المتشابه علي ثلاثة أضرب:

ضرب لا سبيل للوقوف عليه: كوقت الساعة، وخروج دابة الأرض، وكيفية الدابة، ونحو ذلك.

وضرب للإنسان سبيل إلي معرفته، كالألفاظ العربية، والأحكام الغلقة الخفيّة.

وضرب متردّد بين الأمرين، يجوز ان يختصّ بمعرفة حقيقته بعض الراسخين في العلم، ويخفي علي من دونهم(١)

وهو المشار إليه بقوله ﷺ : " اللهم فقه في الدين وعلمه التأويل"(٢)

والذي يعنينا في هذا البحث هو: الآيات التي التبس معناها واشتبه على كثير من الناس، فلم يعرف المراد منها إلا بالطلب. ودور السياق القرآني في كشف ذلك الغموض.

(١) المرجع السابق، ج١، ص٤٤٤.

(٢) أخرجه احمد بن حنبل في مسنده ج١، ص٣١٤، ص٣٢٥، حديث رقم (٣٠٣٣)، وقال الشيخ احمد شاكر: إسناده صحيح، ج٤، ١٢٧، (٢٣٩٧)، ج٤، ص٣١٥، (٢٨٨١) مسند الإمام أحمد بن حنبل، وفهرست الشيخ أحمد شاكر، نشر دار المعارف المصرية، ١٣٧٥، ١٩٥٦م. ورواه البخاري في كتاب مناقب الصحابة باب (٢٤)، حديث (٣٧٥٦) بلفظ: "اللهم علمه الحكمة"، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة باب (٣٠) بلفظ:"اللهم فقه".

الفصل الثاني

الدراسة التطبيقية لأثر السياق في حل غوامض التفسير

المبحث الأول: أثر السياق في تعيين المبهمات.

من فوائد دلالة السياق الترجيح عند الاختلاف، ويقتصر هذا المبحث على إبراز أثر السياق في ترجيح المبهمات المختلف فيها عند المفسرين:

المثال الأول: قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ [يوسف: ٥٣]

اختلف المفسرون في تحديد هذا الكلام: هل هو من كلام امرأة العزيز، أو من كلام يوسف عليه السلام؟[١]

وسياق الآيات يرجح أنّه من كلام امرأة العزيز من عدة وجوه:

أحدها: أنه متصل بكلام المرأة[٢]. وهو قولها: ﴿ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡـَٰٔنَ حَصۡحَصَ ٱلۡحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٥١ ذَٰلِكَ لِيَعۡلَمَ أَنِّي لَمۡ أَخُنۡهُ بِٱلۡغَيۡبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي كَيۡدَ ٱلۡخَآئِنِينَ ﴾ [يوسف: ٥١_٥٢].

قال ابن القيم: ومن جعله من قوله فإنه يحتاج إلى إضمار قول لا دليل عليه في اللفظ بوجه ما[٣]

والثاني: أنّ يوسف عليه السلام لم يكن حاضرا وقت مقالتها هذه، بل كان في السجن لما تكلمت بقولها: ﴿ٱلۡـَٰٔنَ حَصۡحَصَ ٱلۡحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾.

---

(١) انظر: المحرر الوجيز، ج٣، ص٢٥٤، وزاد المسير، ج٢، ص٤٤٨، والبحر المحيط، ج٦، ص٢٨٨، وتفسير ابن كثير، ج٤، ص٣٩٥، والتسهيل لعلوم التنزيل، ج١، ص٣٨٩.

(٢) انظر: البحر المحيط، ج٦، ص٢٨٨.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن القيم، ج١، ص٣٣٠.

قال ابن القيم: والسياق صحيح صريح في ذلك(١).

وقال ابن تيمية: هذا من قولها كما دلّ عليه القرآن، ليس من كلام يوسف عليه السّلام، بل لمّا قالت هذا كان يوسف غائبا في السّجن لم يحضر عند الملك، بل لمّا برّأته هي والنّسوة استدعاه الملك بعد هذا وقال: ﴿ ٱئْتُونِى بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴾[سورة يوسف: ٥٤](٢).

المثال الثاني: قال تعالى: ﴿ فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴾ [مريم: ٢٤]

اختلف المفسرون في تحديد المنادي في هذه الآية من هو؟

فقيل: المنادي هو جبريل عليه السلام. وقيل: المنادي هو عيس عليه السلام، وسياق الآيات يرجح أنّ المنادي هو عيسى عليه السلام عدة وجوه، منها:

الوجه الأول: أنّ قوله: ﴿ فَنَادَىٰهَا ﴾ فعل، ولا بدّ أن يكون فاعله قد تقدّم ذكره، والذي تقدّم ذكره هو جبرائيل، وعيسى - صلوات الله عليهما -، إلا أنّ ذكر عيسى أقرب لقوله عزَّ وجلَّ: ﴿ فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴾ والضمير عائدٌ إلى المسيح، فكان حمله عليه أولى(٣).

قال الطبري: وأولى القولين في ذلك عندنا قول من قال: الذي ناداها ابنها عيسى، وذلك أنه من كناية ذكره أقرب منه من ذكر جبرائيل، فردّه على الذي هو أقرب إليه أولى من ردّه على الذي هو أبعد منه. ألا ترى في سياق قوله ﴿ فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴾ يعني به: فحملت عيسى فانتبذت به، ثم قيل: فناداها نسقا على ذلك من ذكر عيسى والخبر عنه(٤).

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن القيم، ج١، ص٣٣٠.

(٢) منهاج السنة النبوية، ابن تيمية، ج٢، ص٤١٢.

(٣) انظر: التفسير الكبير، الرازي،ج٢١، ص٥٢٧، واللباب في علوم الكتاب، ابن عادل، ج١٣، ص٤٣.

(٤) المرجع السابق، ج١٨، ص١٧٤.

الوجه الثاني: أنّ عيسى لو لم يكن كلمها لما علمت أنّه ينطق، ولما كانت تشير عليه بالكلام[١]

وقال الطبري: "ولم تشر إليه إن شاء الله إلا وقد علمت أنه ناطق في حاله تلك، وللذي كانت قد عرفت ووثقت به منه بمخاطبته إياها بقوله لها ﴿ أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴾ وما أخبر الله عنه أنه قال لها أشيري للقوم إليه، ولو كان ذلك قولا من جبرائيل، لكان خليقا أن يكون في ظاهر الخبر، مبينًا أن عيسى سينطق، ويحتجّ عنها للقوم، وأمر منه لها بأن تشير إليه للقوم إذا سألوها عن حالها وحاله[٢].

وروى الطبري بسنده عن سعيد بن جبير في تفسير قوله تعالى: ﴿ فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ ﴾ قال عيسى: أما تسمع الله يقول:﴿ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ﴾ [مريم: ٢٩][٣]

المثال الثالث: قال تعالى: ﴿ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ﴾ [التوبة: ١٠٨]

اختلف المفسرون في تحديد المراد بالمسجد، هل هو المسجد النبوي أو مسجد قباء على قولين ؟[٤]

وسياق الآيات يرجح انه مسجد قباء من وجوه:

أحدهما: أنّ قوله ﴿ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ ﴾ يرجّح كونه مسجِد قباء،لِأنّه أسّس قبل مسجِدِ المدِينةِ [٥].

الثاني: قوله:﴿ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ ﴾ [التوبة: ١٠٨] يرجح أنه مسجد قباء. قال ابن كثير في التفسير: والسّياق إنّما هو في معرض مسجد قباء؛ ولهذا جاء في الحديث الصّحيح أنّ رسول اللّه ﷺ قال: "صلاة في مسجد قباء كعمرة"[٦] .

وقال في كتاب البداية: «المسجد الذي أسس على التقوى من أول يوم هو مسجد قباء، لما دل عليه

---

(١) انظر: التفسير الكبير، الرازي، ج٢١، ص٥٢٧،

(٢) جامع البيان، الطبري، ج١٨، ص١٧٥٤.

(٣) المرجع السابق، ج١٨، ص١٧٤.

(٤) انظر: زاد المسير، ج٢، ص٢٩٨، وتفسير ابن كثير، ج٤، ٢١٢، وفتح القدير، ج٢، ص٤٥٩.

(٥)انظر: البرهان في علوم القرآن، ج١، ص١٧٥، وفتح الباري، ابن حجر،ج٧، ص٢٤٥.

(٦) أخرجه الترمذي في كتاب إقامة الصلاة والسنة فيه، برقم: (٣٢٤)، ج١، ص٤٢٨، وابن ماجه في كتاب إقام الصلاة، برقم: (١٤١١)، ج١، ص٤٥٣، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح وانظر: تفسير ابن كثير، ج٤، ٢١٢.

السياق، والأحاديث الواردة في الثناء على تطهير أهله مشيرة إليه[١].

وعن أبي هريرة عن النّبيّ ﷺ ، قال: "نزلت هذه الآية في أهل قباء ﴿ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴾ قال: كانوا يستنجون بالماء"[٢]

الثالث: قال أبو حيان: الموازنة بين مسجد قباء ومسجد الضرار، أوقع منها بين مسجد الرسول ﷺ ومسجد الضرار، وذلك لائق بالقصة، وهو أولى[٣].

وقال ابن تيمية: نزلت بسبب مسجد قباء، لكنّ الحكم يتناوله ويتناول ما هو أحقّ منه بذلك، وهو مسجد المدينة[٤]. وقال ابن كثير: وما ثبت في صحيح مسلم من أنه مسجد رسول الله[٥] – ﷺ – لا ينافي ما تقدم؛ لأنه إذا كان مسجد قباء أسس على التقوى من أول يوم، فمسجد الرسول – ﷺ – أولى بذلك وأحرى، وأثبت في الفضل منه وأقوى» [٦]

المبحث الثاني: أثر السياق في توجيه أسباب التغاير في الآيات المشتبهات.

من فوائد دلالة السياق الكشف عن أسباب التغاير والاختلاف في الآيات المتشابهات في اللفظ؛ ولكن وقع في بعضها تقديم أو تأخير أو زيادة أو نقص أو أو إبدال أو غير ذلك.

والمقصود من هذا البحث إبراز أثر السياق في توجيه ما يوجب ذلك إن شاء الله.

المثال الأول: قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴾ [الأنعام: ٢١]

---

(١) البداية والنهاية، ابن كثير، ج٥، ص٢٧.

(٢) أخرجه الترمذي في أبواب التفسير، حديث:(٣١٠٠)، ج٥، ص١٣١، وابن داوود، كتاب الطهارة باب الاستنجاء بالماء، حديث: (٤٤)، ج١، ص٣٣، وابن ماجه، كتاب الطهارة، باب: من دلك يده بالأرض بعد الاستنجاء، حديث: (٣٥٧)، ج١، ص٢٣٤، وأورده ابن حجر في فتح الباري، ج٧، ص٣٥٧، وقال: إسناده صحيح.

(٣) البحر المحيط، ج٥، ص١٣٠.

(٤) منهاج السنة، ج٧، ص٧٤.

(٥) أخرجه مسلم في كتاب الحج، باب المسجد الذي أسس على التقوى، برقم (١٣٩٨)، ج٢، ص١٠١٥.

(٦) البداية والنهاية، ابن كثير، ج٥، ص٢٧.

مع قوله تعالى: ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾ [يونس: ١٧]

في هذه الآيات سؤالان:

أحدهما: عن الواو في أول الآية الأولى وهو ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ ﴾، والفاء في أول الآية الثانية وهو ﴿فَمَنْ﴾؟

والثاني: عن اختصاص آخر الآية الأولى بقوله: ﴿ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾، واختصاص آخر الآية الثانية بقوله: ﴿ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾ ؟

وقد علل الإسكافي وغيره من علماء البيان سبب الاختلاف في الآيات إلى السياق [١]

والجواب عن السؤال الأول: أن يقال: إن ما تقدم الآية الأولى من قوله: ﴿ قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ﴾إلى قوله: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ ﴾[الأنعام: ١٩ _ ٢١] جمل عطف صدور بعضها على بعض الواو، ولم تتعلق الثانية بالأولى تعلق ما هو من سببها، فأجرى قوله: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ ﴾ مجراها، وعطف بالواو عليها.

وأما الآية الثانية: فإن ما قبلها عطف بعضها على بعض بالفاء كقوله تعالى: ﴿ قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ ۖ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (يونس: ١٦) فتعلق كل ما بعد الفاء بما قبله تعلق المسبب بسببه[٢].

والجواب عن السؤال الثاني: أنه لما قال في الآية الأولى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴾ [الأنعام: ٢١]، وكان المعنى أنه لا أحد أظلم لنفسه ممن وصف الله تعالى بخلاف وصفه فأوردها العذاب الدائم، كان قوله: ﴿ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ﴾ عائدا إلى من فعل هذا الفعل، أي: لا يظفر برحمه الله ولا يفوز بنجاة نفسه من كان ما ذكر من فعله، فبناء الآخر على الأول اقتضى أن يكون: ﴿ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾.

---

(١) انظر: درة التنزيل، الإسكافي، ج٢، ص٤٩٨_٥٠١، وأسرار التكرار، الكرماني، ج١، ص١٠٦، وملاك التأويل، ابن الزبير، ج١، ص١٤٩، وفتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن، زكريا الأنصاري، ج١، ص١٦١.

(٢) انظر: درة التنزيل، الإسكافي، ج٢، ص٤٩٩.

وأما الآية الثانية، وتعقيبها بقوله: ﴿ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴾ [يونس: ١٧] دون قوله: " إنه لا يفلح الظالمون" وإن كان الوصفان لفريق واحد، فلأنهما تقدمتها الآية التي تضمنت وصف هؤلاء القوم بما عاقبهم به فقال: ﴿ وَلَقَدۡ أَهۡلَكۡنَا ٱلۡقُرُونَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَمَا كَانُواْ لِيُؤۡمِنُواْۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴾ [يونس: ١٣] فوصفهم بأنهم مجرمون عند تعليق الجزاء بهم. وقال بعده: ﴿ ثُمَّ جَعَلۡنَٰكُمۡ خَلَٰٓئِفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ ﴾[يونس: ١٤]، إلى الموضع الذي أبطل فيه حجتهم ودفع سؤالهم وهو: ﴿ ٱئۡتِ بِقُرۡءَانٍ غَيۡرِ هَٰذَآ أَوۡ بَدِّلۡهُۚ ﴾ [يونس: ١٥]، فقال تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴾ [يونس: ١٧]، ليعلم أن هؤلاء سبيلهم في الضلال سبيل القوم الذين أخبر عن هلاكهم. وقال: ﴿ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴾ [يونس: ١٣]، ليوقع التسوية بينهم في الوصف كما أوقع التسوية بينهم في الوعيد(١).

المثال الثاني:

قوله تعالى: ﴿ وَإِذۡ نَجَّيۡنَٰكُم مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَسُومُونَكُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ وَيَسۡتَحۡيُونَ نِسَآءَكُمۡۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَظِيمٞ ﴾ [البقرة: ٤٩] مع قوله تعالى: ﴿ وَإِذۡ أَنجَيۡنَٰكُم مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَسُومُونَكُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ وَيَسۡتَحۡيُونَ نِسَآءَكُمۡۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَظِيمٞ ﴾[الاعراف: ١٤١]. وقوله تعالى: ﴿ وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ أَنجَىٰكُم مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَسُومُونَكُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ وَيَسۡتَحۡيُونَ نِسَآءَكُمۡۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَظِيمٞ ﴾ [إبراهيم: ٦]

ففي هذه الآيات ثلاث سؤالات:

الأول: وقد ورد في سورة البقرة: ﴿ نَجَّيۡنَٰكُم ﴾ مضعفًا وفى الأعراف:﴿ أَنجَيۡنَٰكُم ﴾ غير مضاعف

(١) انظر: درة التنزيل، الإسكافي، ج٢، ص٥٠١_٥٠٢.

والثاني: ورد في سورة البقرة: ﴿ يُذَبِّحُونَ ﴾ وفى سورة الأعراف:﴿ يُقَتِّلُونَ ﴾

والسؤال الثالث: وقد ورد في سورة إبراهيم ﴿ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ ﴾ مسبوقا بحرف العطف

والسبب الذي أوجب ذلك الاختلاف كله يراجع إلى سياق كل سورة

والجواب عن السؤال الأول: أنّ الوارد في سورة البقرة مقصود به تعداد وجوه الإنعام على بنى إسرائيل وتوالى الامتنان. قال ابن الزبير: "فذكر نجاتهم من آل فرعون وفرق البحر بهم ونجاتهم وهلاك عدوهم بالغرق ثم ذكر عفوه عنهم في عبادة العجل وتوبته عليهم وبعثهم من موتهم عند طلبهم الرؤيا، وتظلياهم بالغمام إلى ما ذكر تعالى بعد هذا"(١)

فلما كان موضع تعداد نعم وآلاء ذكروا بها ليزدجروا عن المخالفة والعناد ناسبه التضعيف لإثباته بالكثرة ولو قيل هنا وإذ أنجيناكم لما أنبأ بذلك ولا ناسب المقصود مما ذكر.

وأيضا فإن التضعيف في: ﴿ نَجَّيْنَاكُم ﴾ يناسب التضعيف الوارد بعده في قوله: ﴿ يُذَبِّحُونَ ﴾، ولم يكن لفظ أنجيناكم غير مضاعف ليناسب(٢).

والجواب عن السؤال الثاني: أنّ ترتيب سورة البقرة قبل سورة الأعراف، والذبح منبئ عن القتل وصفته وأما اسم القتل فلا يفهم إلا إعدام الحياة ويتناول من غير المقتول في الغالب.

قال ابن الزبير: "فعبر أولا بما يوفى المقصود من الإخبار بالقتل مع إحراز الإيجاز، إذ لو ذكر القتل وأتبع الصفة لما كان إيجازا، فعدل إلى ما يحصل عنه المقصود مع إيجاز فقيل: ﴿ يُذَبِّحُونَ ﴾ وعبر في سورة الأعراف بالقتل لأنه أوجز من لفظ يذبحون لأجل التضعيف إذ لفظ يذبحون أثفل لتضعيفه وقد حصلت صفة القتل في سورة البقرة فأحرز الإيجاز في الكل وجاء على ما يجب ويناسب"(٣).

والجواب عن السؤال الثالث: وهو قوله تعالى:﴿ وَيُذَبِّحُونَ ﴾ مسبوقا بالواو في سورة إبراهيم، وأما في

---

(١) ملاك التأويل، ج١، ص٣٤.

(٢) انظر: المرجع السابق، ج١، ص٣٤.

(٣) المرجع السابق، ج١، ص٣٤.

سورة البقرة فقال: ﴿ يُذَبِّحُونَ ﴾بغير واو على الْبَدَل من قوله:﴿يَسُومُونَكُمْ ﴾

وكذلك قال في الأعراف: ﴿ يُقَتِّلُونَ ﴾ بغير واو؛ لأن ما في سورتي: البقرة والأعراف من كلام الله تعالى فلم يرد تعداد المحن عليهم، فوقع تفسيرا لما قبله. والّذي في سورة إبراهيم فمن كلام موسى وكان مأمورا بتعداد المحن في قوله: ﴿ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّـٰمِ ٱللَّهِ﴾ [إبراهيم: ٥] فعدّد المحن عليهم، فناسب ذكر العاطف(١)

المثال الثالث:

قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَـٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّـٰرِبِينَ ﴾ [النحل: ٦٦] مع قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَـٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَـٰفِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ [المؤمنون: ٢١]

جاء ضمير الأنعام في الأولى:﴿ مِّمَّا فِى بُطُونِهِۦ ﴾ مفردًا مذكرًا، وفي الثانية: ﴿ مِّمَّا فِى بُطُونِهَا ﴾ بجمعه مؤنثًا، فما الفرق بين الموضعين؟

وتعليل ذلك راجع إلى السياق. فجاء الضمير:﴿ فِى بُطُونِهِۦ ﴾ مفردًا مذكرًا، نظرًا لمعنى الجنس، قال الكسائي: معناه مما في بطون ما ذكرنا، فهو عائد على المذكور، قال الفراء: وهو: صواب(٢) وقال أبو عبيدة: الهاء في «بطونه» للبعض، والمعنى: نُسقيكم مما في بطون بعضه، وهي الإناث، لأن الذكور لا ألبان لها(٣) . قال الكرماني: " تقدير الآية وإن لكم في بعض الأنعام، بخلاف ما في المؤمنين، فإنّه عطف عليه ما يعود على الكل ولا يقتصر على البعض وهو قوله: ﴿ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَـٰفِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾ وَعَلَيْهَا ﴾ [المؤمنون: ٢١_٢٢](٤) ، فنوسب بضمير الأنعام ما أتبع به من الضمائر في قوله: فيها، ومنها،

(١) انظر: أسرار التكرار، الكرماني، ج١، ص٧٣، وفتح الرحمن، ج١، ص٣٤.

(٢) انظر: معاني القرآن، الفراء ج٢، ص١٠٩، والتفسير الوسيط، الواحدي، ج٣، ص٧٠، وفتح القدير، ج٣، ص٢٠٨.

(٣) انظر: زاد المسير، ج٢، ص٥٦٨، وفتح القدير، ج٣، ص٢٠٨.

(٤) أسرار التكرار، ج١ ص١٦٢.

وعليها. فورد بصورة التأنيث والجمع [١].

المبحث الثالث: أثر السياق في توجيه آيات أشكل تفسيرها

من فوائد السياق توجيه الآيات المتشابهات التي يوحي ظاهرها التناقض أو تضاد في القرآن الكريم، عند عوام الناس بسبب الجهل والقصور في الفهم، وأما في الواقع ونفس الأمر فليس له مكان حقيقي مصدقا لقوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: ٨٢].

والمقصود من هذا البحث إبراز أثر السياق في توجيه نوع من هذه الآيات المشكلة.

المثال الأول: قوله تعالى: ﴿ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ﴾[البقرة: ٢٢٣]

المشكل في هذه الآية يأتي من قوله: ﴿ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ﴾، وذلك أنّ لفظة "أنى" من المشترك اللفظي، فتأتي بمعنى: كيف، وأين، ومتى. وقد فسرت بكل منها، ولكن بعضها باطل.

فالباطل تفسيرها ب: (أين) من غير تقدير حرف الجر (مِن) لأنّ هذا يعني: جواز إتيان النساء في كلّ مكان من الجسد ومنه الدبر، في حين أنّ الإتيان في الدبر حرام[٢].

عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ : "ملعون من أتى امرأة في دبرها"[٣].

وتفسيرها ب(أين) مع لزوم تقدير من مروي على أنه سبب نزول، فجاز للرجل أن يأتي امرأته من خلفها

---

(١) ملاك التأويل ج٢، ص٣٠٢.

(٢) انظر: مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله، عبد العزيز بن عبد الله بن باز (ت: ١٤٢٠هـ)، أشرف على جمعه وطبعه: محمد بن سعد الشويعر، ج٢١، ص١٨٦. وفتوى ابن باز حول حكم (إتيان المرأة في دبرها من الكبائر) المنشورة في مجلة (الدعوة) العدد (١٦٦٠) بتاريخ ٤ جمادى الآخرة ١٤١٩هـ.

(٣)أخرجه أبو داود في (النكاح) باب جامع النكاح برقم (٢١٢٦)، ج٢، ص ٢٤٩، والنسائي في السنن الكبرى، كتاب عشرة النساء، باب ذكر اختلاف الناقلين لخبر أبي هريرة، برقم: (٨٩٦٦)، ج٨، ص٢٠٠٠، ومسند أحمد، ج١٥، ص٤٥٧، برقم: (٩٧٣٢) وقال شعيب الارنؤوط: حديث حسن.

لكن في قُبلها لا في دبرها[١]، وجاز تفسيرها بكيف على أنه الإتيان في القبل على أي كيفية من قدام أو من خلف أو على جنب. كما جاز تفسيرها بمتى، أي في أي زمان ما عدا أوقات المنع كالحيض، وأوقات رمضان[٢].

أثر السياق في تفسير الآية:

يدل سياق الآية الكريمة على أنّ المحل الجائز إتيانه هو القبل لا الدبر من عدة وجوه:

الأول: قوله: ﴿ حَرۡثٌ لَّكُمۡ ﴾ فإن القبل هو مكان الحرث والولد، كما أشار إلى أنه هو الذي يعتزل أثناء الحيض فهو الذي يؤتى بعد التطهير لا الدبر[٣]، وذلك في الآية السابقة: ﴿ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡمَحِيضِۖ قُلۡ هُوَ أَذٗى فَٱعۡتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ فِي ٱلۡمَحِيضِ وَلَا تَقۡرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطۡهُرۡنَۖ فَإِذَا تَطَهَّرۡنَ فَأۡتُوهُنَّ مِنۡ حَيۡثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

وقوله تعالى: ﴿ فَأۡتُواْ حَرۡثَكُمۡ ﴾ أي الموضع الصالح للحراثة[٤]. وقال الثعلبي: "وفي هذه الآية أدل دليل على تحريم أدبار النساء لأنها موضع الفرث لا موضع الحرث، وإنما قال الله تعالى: نِساؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ وهذا من لطف كنايات القرآن حيث عبّر بالحرث عن الفرج فقال: نِساؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ أي مزرع ومنبت الولد"[٥]

الثاني: قوله: ﴿ مِنۡ حَيۡثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ﴾ فيه إشارة أخرى على تحريم أدبار النساء؛ لأنّ ﴿ حَيۡثُ ﴾

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب النكاح، باب: جامع النكاح، برقم (٢١٦٤)، ج٢، ص٢٤٩، والحاكم في المستدرك، ج٢، ص٢١٢، وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجه.

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ج٣، ص٩٣، والتفسير والمفسرون في ثوبه الجديد، د. عبد الغفور محمود، ج١، ص٢٠٣.

(٣) انظر: الكشاف، ج١، ص٢٦٦، والتفسير الكبير، ج ٦، ص٤٢٤، والجامع لأحكام القرآن، القرطبي ج٣، ص٩٣، والبحر المحيط، ج٢، ص٤٢٩.

(٤) انظر: نظم الدرر، ج٣، ص٢٨١.

(٥) الكشف والبيان، الثعلبي، ج٢، ص١٦٢.

للمكان، وليس أي مكان، بل ما أمر الله به، وظاهر الأمر للوجوب. قال الرازي: " ولا يمكن أن يقال: إنّه يفيد وجوب إتيانهنّ لأنّ ذلك غير واجب، فوجب حمله على أنّ المراد منه أنّ من أتى المرأة وجب أن يأتيها في ذلك الموضع الّذي أمر اللّه تعالى به ثمّ هذا غير محمول على الدّبر، لأنّ ذلك بالإجماع غير واجب فتعيّن أن يكون محمولا على القبل، وذلك هو المطلوب"(١)

والثالث: قوله: ﴿ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ﴾ جعل قيام الأذى علّة لحرمة إتيان موضع الأذى، فما دام الأذى موجودًا وجب الاجتناب.

وهذه العلَّة في تحريم إتيان المرأة في دبرها أظهر؛ لأنّ أذى النجاسة في الدبر دائم، وأذى الحيض مؤقت، فوجب القول بتحريم الدبر(٢)

والمثال الثاني: قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ ۖ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الأعراف ١٨٩-١٩٠].

المشكل في هذه الآية يأتي من قوله: ﴿ جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾؛ لأنّ ظاهره يوهم الطعن في اعتقاد آدم عليه السلام وزوجه، لأنّ النفس الواحدة ـ عند بعض المفسرين آدم وحواء، وزوجها المخلوق منها هي حواء خلقها الله من ضلعه، ثمّ إنّ الكنايات الموجودة في الآية راجعة إليهما، فيقتضي ذلك صدور الشرك عنهما.

وهذا فهم خاطئ، يتنافى مع مقام آدم، عليه السلام؛ لأنه نبي مكلم، والأنبياء معصومون من الشرك قبل النبوة وبعدها إجماعاً (٣)

---

(١) التفسير الكبير، ج ٦، ص٤٢١.

(٢) انظر: المرجع السابق.

(٣) انظر: الإتقان ج١، ص٣٠٩.

وقد رفع علماء التفسير هذا الإشكال وأفسدوه من وجوه كثيرة، خلاصتها: أنّ وقوع الشرك لم يكن من آدم أو حواء وإنما كان من دريتهما، أن ما ذكروه في تفسير الآية من قصة آدم وحواء، وتسمية الولد عبد الحارث كله من الإسرائيليات وضعيف الحديث(١).

أثر السياق في تفسير الآية:

بالتدبر في سياق الآيات، والرجوع إلى قواعد التفسير واللغة نجد أنّ وقوع الشرك كان من الذرية وذلك من عدة أوجه:

الوجه الأول: قوله: ﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾ وقوله بعد ذلك: ﴿ أَيُشۡرِكُونَ مَا لَا يَخۡلُقُ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ ﴾ [الأعراف: ١٩١] يدل على ان الذين أتوا بهذا الشرك جماعة، فعلم أنّ المراد ذريتهما، لا أدم وحواء، ولو أرادهما لثنى الفعل ولم يجمعه(٢).

وقال ابن كثير: "ونحن على مذهب الحسن البصري في هذا وان ليس المراد من هذا السياق آدم وحواء وإنما المراد من ذلك المشركون من ذريته، ولهذا قال: ﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾ ثم قال: "فذكر آدم وحواء أولا كالتوطئة لما بعدهما من الوالدين وهو كالاستطراد من ذكر الشخص الى الجنس كقوله: ﴿ وَلَقَدۡ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلۡنَٰهَا رُجُومٗا لِّلشَّيَٰطِينِ ﴾ [الملك: ٥] ومعلوم ان المصابيح وهي النجوم التي زينت بها السماء ليست هي التي يرمى بها وانما هذا استطراد من شخص المصابيح الى جنسها ولهذا نظائر في القرآن(٣).

وقال بعض المفسرين تقرير هذا الكلام كأنه تعالى يقول: "هو الّذي خلق كلّ واحد منكم من نفس

---

(١) انظر: أحكام القرآن، ابن العربي، ج٢، ص٣٥٥، والتفسير الكبير، الرازي، ج١٥، ص٤٢٧، والجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج٧، ص٣٣٨، وتفسير القرآن، ابن كثير، ج٣، ص٥٢٨، والبحر المحيط، أبو حيان، ج٥، ص٤٣٦، واللباب في علوم الكتاب، ج٩، ص ٤١٩ ـ ص٤٢٢، أضواء البيان، الشنقيطي، ج٢ ص٤٦ ـ ص ٤٧.

(٢) انظر: التفسير الكبير، الرازي، ج١٥، ص٤٢٧، والجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج٧، ص٣٣٩، واللباب في علوم الكتاب، ج٩، ص ٤١٩.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ج٣، ص٥٢٨.

واحدة وجعل من جنسها زوجها إنسانا يساويه في الإنسانيّة، فلمّا تغشّى الزّوج زوجته وظهر الحمل، دعا الزّوج والزّوجة ربّهما لئن آتيتنا ولدا صالحا سويّا لنكوننّ من الشّاكرين لآلائك ونعمائك. فلمّا آتاهما اللّه ولدا صالحا سويّا، جعل الزّوج والزّوجة للّه شركاء فيما آتاهما، لأنّهم تارة ينسبون ذلك الولد إلى الطّبائع كما هو قول الطّبائعيّين، وتارة إلى الكواكب كما هو قول المنجّمين، وتارة إلى الأصنام والأوثان كما هو قول عبدة الأصنام. ثمّ قال تعالى: فتعالى اللّه عمّا يشركون أي تنزّه اللّه عن ذلك الشّرك" (١).

قال الرازي: وهذا جواب في غاية الصّحّة والسّداد(٢).

الوجه الثاني: هو انّ الآية التي بعدها هو قوله تعالى:﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴾ التي وهذا ردّ على من جعل الأصنام شركاء للهِ تعالى، ولم يجر لإبليس اللعين في هذه الآية ذكر، فبهذا يتبين بطلان قول القائلين: بأنّ أدم وحواء كان لا يعيش لهما ولد، فاتاهما إبليس فقال: إن أحببتما أن يعيش لكما فسمياه عبد الحارث(٣).

ولو كان المراد إبليس لقال: أيشركُون من لا يخلُقُ؛ لأن العاقلَ إنَّما يُذْكَرُ بصيغة من(٤).

الوجه الثالث: السياق القرآني العام يدل على أن آدم عليه السلام كان أشد الناس معرفة بإبليس فكان عالما بجميع الأسماء كما قال تعالى ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾ [البقرة:٣١] فكان لا بد وأن يكون قد علم أن ابليس هو الحارث ، فمع العداوة الشديدة التي بينه وبين آدم ومع علمه بأن اسمه هو الحارث

---

(١) انظر: التفسير الكبير، ج١٥ ص٤٢٨، واللباب في علوم الكتاب،ج٩، ص٤٢٠، البحر المحيط ج٥ ص ٢٤٥، ولباب التأويل، ج٢، ص٢٨١.

(٢) المرجع السابق.

(٣) أشار كثير من المحققين إلى أنّ ما ذكره بعض المفسرين من قصة أدم وحواء وتسمية الولد عبد الحارث، كله من الإسرائيليات، وأنه من ضعيف الحديث [انظر: أحكام القرآن، ابن العربي، ج٢، ص٣٥٥، وتفسير القرآن، ابن كثير، ج٣، ص٥٢٨].

(٤) انظر: التفسير الكبير، ج١٥ ص٤٢٨، واللباب في علوم الكتاب،ج٩، ص٤٢٠، البحر المحيط ج٥ ص ٢٤٥، ولباب التأويل، ج٢، ص٢٨١.

كيف سمى ولد نفسه بعبد الحارث؟ وكيف ضاقت عليه الأسماء حتى إنه لم يجد سوى هذا الاسم؟[١].

المثال الثالث :

قوله تعالى :﴿ فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ ۚ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴾ [يونس: ٩٤].

المشكل في هذه الآية أنّ ظاهرها يوهم الطعن في اعتقاد النبي ﷺ ، بأنه كان شاكًا فيما أنزل الله إليه من الوحي، فإن كان شاكًا في نبوتة نفسه كان غيره أولى بالشك منه.

وهذا فهم خاطئ، يتنافى مع مقام النبي ﷺ ، والصحيح أنه لا يجوز نسبة الشك إلى نبي من الأنبياء بأي حال من الأحوال، فكيف في هذا الأمور التي تتوقف عليها صحة الإيمان؟

وكذلك لا يصح أن يقال: إن محمدا ﷺ بشر، وكان حصول الخواطر المشوشة والأفكار المضطربة في قلبه من الجائزات.

وقد أورد العلماء جميع الاعتراضات والأسئلة المذكورة في الآية وأجابوا عليها بإحسن الإجابات، فقال القاضي عياض احذر ثبت الله قلبك أن يخطر ببالك ما ذكره بعض المفسرين عن ابن عباس وغيره من إثبات شكّ للنّبيّ ﷺ فيما أوحي إليه وأنّه من البشر، فمثل هذا لا يجوز عليه جملة بل قد قال ابن عبّاس لم يشكّ النّبيّ ﷺ ولم يسأل، ونحوه عن ابن جبير والحسن، وحكى قتادة أنّ النّبيّ ﷺ "قال ما أشكّ ولا أسأل"[٢]، وعامّة المفسّرين على هذا[٣].

وقد رفع علماء التفسير هذا الإشكال وأفسدوه من وجوه كثيرة، ولهم تأويلات صحيحة لهذه الآية خالية

---

(١) انظر: التفسير الكبير، ج١٥، ص٤٢٧، ولباب التأويل، ج٩، ٤١٩.

(٢) أخرجه عبدالرزاق في تفسير القرآن، ج٢، ص١٧٩، والطبري في جامع البيان، ج١٥، ص٢٠٢، كلهم عن قتادة، وأخرجه سعيد بن منصور في تفسير سورة يونس[انظر: التفسير من سنن سعيد بن منصور، ج١٥، ص٣٣٢، والطبري، في جامع البيان، عن سعيد بن جبير، والحسن البصري]، وأورده ابن كثير في التفسير ج٢، ٢٩٦.

(٣) انظر: الشفا بتعريف حقوق المصطفى، عياض، ج٢، ص٩٩، ولباب التأويل، الخازن، ج٢، ص٤٦٤، وتفسير ابن عرفة، ج٢، ص٢٤١.

عن مثل هذه المفاسد، والذي يهمنا في هذا البحث إبراز أثر السياق في إثبات عدم صدور الشك من النبي ﷺ .

أثر السياق في تفسير الآية :

سياق الآيات، يكشف لنا أنّ الخطاب للنبي ﷺ والمراد غيره من الشاكين، بدليل قوله تعالى في الآيات التي تليها من نفس السورة: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس: ١٠٤]، فهو كقوله: ﴿ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ ﴾ [الزمر: ٦٥]

ومعنى الآية: يا أيها الإنسان الشاك إن كنت في شك مما أنزلنا إليك على لسان رسولنا محمد ﷺ فاسأل الذين يقرءون الكتاب يخبروك بصحته(١).

قال الخازن: ويدل على صحة هذا التأويل قوله تعالى في آخر هذه السورة: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾، فبين أن المذكور في هذه الآية على سبيل الرمز هو المذكور في تلك الآية على سبيل التصريح(٢).

والحمد لله رب العالمين،،،

(١) انظر: التفسير الوسيط، الواحدي، ج٣، ص٥٥٩، والمحرر الوجيز، ج٣، ص١٤٢، والتفسير الكبير، الرازي، ج١٧، ص١٢٨، وزاد المسير، ج٣، ص٤٨، والبحر المحيط، ج٦، ص ١٠٦، واللباب في علوم الكتاب، ج١٠ن ص٤١١.

(٢) لباب التأويل، الخازن،ج٢، ص٤٦٠.

الخاتمة

وبعد هذا التطواف في موضوع السياق القرآني وأثره في حل غوامض التفسير، أختم هذا البحث بأهم النتائج والتوصيات، وهي ما يلي:

أولا: استعرضت الدراسة المعنى اللغوي والاصطلاحي لكلمة سياق، وتوصلت إلى أنّهم يقصدون به غالبًا: فهم القرآن بمراعاة السابق واللاحق، أو الأحوال المتعلقة بخطابه؛ لأن القرآن الكريم كلام واحد يتعلق آخره بأوله، وأوله بآخره.

ثانيا: كشفت الدراسة عن أهمية دلالة السياق القرآني في علم التفسير، وأن اعتداد المفسرين به قديم، كما ظهرت آثاره في تفسير الطبري وغيره.

ثالثًا: أبانت الدراسة أن غوامض التفسير متعددة، وتأتي بسبب خفاء مراد الشارع من كلامه، بسبب اللفظ، أو المعنى. منه ما يمكن الوقوف على معرفته كالألفاظ الغربية، والأحكام الغلقة الخفيّة، ومنه ما لا سبيل للوقوف عليه: كوقت الساعة ونحو ذلك، وهذه الدراسة تتعلق بالقسم الأول ودور السياق في فهمه..

رابعًا: كشفت الدراسة التطبيقية دور السياق البارز في الألفاظ الغربية، والأحكام الغلقة الخفيّة، من تعيين المبهمات، وتوجيه أسباب التغاير بين الآيات المتشابهات، وتوجيه مجموعة من الآيات التي أشكل تفسيرها على الناس.

خامسًا: كشفت الدراسة أنه لا مكان لوجود التعارض أو التناقض في كتاب الله تعالى، وإنما يظهر ما يوهم ذلك الإشكال، عند من لا خبرة لهم بأساليب القرآن ومقاصده وأصول تفسيره.

وبناء على ذلك، فتوصي هذه الدراسة:

أولًا: توصي الدراسة الباحثين بضرورة الاهتمام بعلم السياق، لما له من أهمية بالغة في الكشف عن مكنونات كثير من المعاني، التي تختفي معانيها وراء القرائن والأحوال وسياق الكلام في التفسير وإظهار إحكام القرآن وإعجازه.

ثانيًا: وتوصي بضرورة الاهتمام بدراسة نظم القرآن من حيث التقديم والتأخير، والحذف والذكر وغير ذلك لأنه من أهم الوسائل للوقوف على أسرار البلاغة القرآنية وأساليبها، واستخرج دررها العظيمة.

فهرس المصادر والمراجع

١. الإتقان في علوم القرآن، تأليف عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، نشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م

٢. إحكام الفصول في أحكام الأصول، تأليف: سليمان خلف الباجي، تحقيق: عبد المجيد التركي، نشر: دار التراث الإسلامي، ط١، ١٩٨٦م.

٣. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، تأليف: أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت: ٩٨٢هـ)، نشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت

٤. أسرار التكرار في القرآن المسمى البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان، تأليف: محمود بن حمزة بن نصر، أبو القاسم برهان الدين الكرماني (ت: نحو ٥٠٥هـ)، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، نشر: دار الفضيلة.

٥. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، تأليف: محمد الأمين الشنقيطي (ت : ١٣٩٣هـ، نشر: دار الفكر، بيروت، لبنان:ط: ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥

٦. الاعتصام، تأليف: إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (ت: ٧٩٠هـ)، تحقيق: سليم بن عيد الهلالي، نشر: دار ابن عفان، السعودية، ط١، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م]

٧. البحر المحيط في أصول الفقه، تأليف: أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت: ٧٩٤هـ) نشر: دار الكتبي، ط١، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

٨. بدائع الفوائد، تأليف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، نشر: دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

٩. البرهان في أصول الفقه، تأليف: عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني، أبو المعالي، ركن الدين، الملقب بإمام الحرمين (ت: ٤٧٨هـ)، تحقيق: صلاح بن محمد بن عويضة، نشر: دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.

١٠. البرهان في علوم القرآن، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت: ٧٩٤هـ)،

تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، نشر: دار إحياء الكتب العربية، ط١، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م

١١. بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق: مجموعة من المحققين، نشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ط١، ١٤٢٦هـ

١٢. تأويل مشكل القرآن، تأليف: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت: ٢٧٦هـ)، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، بدون تاريخ.

١٣. التسهيل لعلوم التنزيل تأليف: أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي (ت: ٧٤١هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله الخالدي، نشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت، ط١، ١٤١٦ هـ

١٤. تفسير الإمام ابن عرفة، تأليف: محمد بن محمد ابن عرفة الورغمي التونسي المالكي، أبو عبد الله (ت: ٨٠٣هـ)، تحقيق: د. حسن المناعي، نشر: مركز البحوث بالكلية الزيتونية – تونس، ط١، ١٩٨٦ م.

١٥. التفسير البسيط، تأليف: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت: ٤٦٨هـ)، نشر: عمادة البحث العلمي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط١، ١٤٣٠ هـ.

١٦. تفسير القرآن العظيم، ابن القيم، تأليف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، تحقيق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان، نشر: دار ومكتبة الهلال – بيروت، ط١، ١٤١٠ هـ

١٧. تفسير القرآن العظيم، ابن كثير تأليف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي القرشي (ت: ٧٧٤هـ)، دار المعرفة، بيروت، ط٢، ١٩٨٧م

١٨. التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)، تأليف: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت: ٦٠٦هـ)، نشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٤٢٠ هـ

١٩. تفسير عبد الرزاق، تأليف: أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني (ت: ٢١١هـ)، نشر: دار الكتب العلمية، تحقيق: د. محمود محمد عبده، نشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، سنة ١٤١٩هـ.

٢٠. التفسير والمفسرون في ثوبة الجديد، تأليف: عبد الغفور محمود مصطفى جعفر، نشر: دار السلام، مصر، ط١، ١٤٢٨م

٢١. جامع البيان في تأويل القرآن، تأليف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت: ٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، نشر: مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠م.

٢٢. الجامع الكبير (سنن الترمذي)، تأليف: محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (ت: ٢٧٩هـ)، تحقيق: بشار عواد معروف، نشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٨م

٢٣. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه (صحيح البخاري)، تأليف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، نشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) ط١، ١٤٢٢هـ.

٢٤. الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، تأليف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، نشر: دار الكتب المصرية – القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤م.

٢٥. حاشية العطار على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع، حسن بن محمد بن محمود العطار الشافعي (ت: ١٢٥٠هـ)، نشر: دار الكتب العلمية، بدون طبعة وبدون تاريخ.

٢٦. حاشية العلامة النباتي على شرح جلال الدين المحلي على متن جمع الجوامع، نشر: دار الفكر، بدون طبعة وتاريخ.

٢٧. درة التنزيل وغرة التأويل، تأليف: أبو عبد الله محمد بن عبد الله الأصبهاني المعروف بالخطيب الإسكافي (ت: ٤٢٠هـ)، تحقيق: محمد مصطفى آميدين ، نشر: جامعة أم القرى، ط١، ١٤٢٢هـ.

٢٨. دلالة السياق القرآني وأثرها في التفسير دراسة نظرية تطبيقية من خلال تفسير ابن جرير الطبري، تأليف: عبد الحكيم القاسم، (رسالة ماجستير)، جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض، ١٤٢١هـ.

٢٩. دلالة السياق وأثرها في توجيه المتشابه اللفظي في قصة موسى دراسة نظرية تطبيقية، تأليف: فهد بن شتوي عبد المعين، "الشتوي" رسالة ماجستير، جامعة ام القرى، ٢٠٠٥م.

٣٠. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تأليف: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت: ١٢٧٠هـ)، تحقيق: علي عبد الباري عطية، نشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١٥ هـ

٣١. زاد المسير في علم التفسير، تأليف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت: ٥٩٧هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، نشر: دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ

٣٢. سنن ابن ماجه، تأليف: أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، المعروف بـ"ابن ماجة"، (ت: ٢٧٣هـ)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط – عادل مرشد – محمّد كامل قره بللي – عبد اللّطيف حرز الله، نشر: دار الرسالة العالمية، ط١، ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩ م.

٣٣. سنن أبي داود، تأليف: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السّجستاني (ت: ٢٧٥هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، نشر: المكتبة العصرية، صيدا، بيروت.

٣٤. السياق القرآني واثره في تفسير المدرسة العقلية الحديثة، تأليف: سعيد بن محمد الشهراني، (أطروحة دكتوراة)، جامعة أم القرى، ١٤٢٧هـ..

٣٥. السياق واثره في تفسير المدرسة العقلية الحديث، د. سعيد بن محمد الشهراني، طبعة كرسي القرآن الكريم، جامعة الملك سعود، ط١، ١٤٣٦هـ.

٣٦. الموافقات، تأليف: إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (المتوفى: ٧٩٠هـ)، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، نشر: دار ابن عفان، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

٣٧. الشفا بتعريف حقوق المصطفى – مذيلا بالحاشية المسماة مزيل الخفاء عن ألفاظ الشفاء، تأليف:

أبو الفضل القاضي عياض بن موسى اليحصبي (ت: ٥٤٤هـ)، في حاشيته: أحمد بن محمد بن محمد الشمنى (ت: ٨٧٣هـ)، نشر: دار الفكر الطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م.

٣٨. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تأليف: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، نشر: دار العلم للملايين، بيروت. ط١، ١٤١٨ هـ

٣٩. العدة في أصول الفقه، تأليف: القاضي أبو يعلى، محمد بن الحسين بن محمد بن خلف ابن الفراء (ت: ٤٥٨هـ) تحقيق: د أحمد بن علي بن سير المباركي، الأستاذ المشارك في كلية الشريعة بالرياض - جامعة الملك محمد بن سعود الإسلامية، نشر: بدون ناشر، ط٢، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م

٤٠. علم أصول الفقه، عبد الوهاب خلاف (ت: ١٣٧٥هـ)، نشر: مكتبة الدعوة، شباب الأزهر (ط٨، لدار القلم) بدون تاريخ.

٤١. السياق، المفهوم، المنهج، النظرية، تأليف: طه جابر العلواني، المنشور بكتاب أهمية السياق في المجالات التشريعية، وصلته بسلامة العمل بالأحكام، أعمال الندوة العلمية الدولية التي نظمتها الرابطة المحمدية للعلماء ٢٠٠٧م، الدولة المغربية، ط: دار أبي رقراق للنشر والتوزيع. الرباط. الطبعة الأولى.

٤٢. فتح الباري شرح صحيح البخاري، تأليف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، نشر: دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩ه

٤٣. فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن، تأليف: زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري، زين الدين أبو يحيى السنيكي (ت: ٩٢٦هـ) ، تحقيق: محمد علي الصابوني، نشر: دار القرآن الكريم، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.

٤٤. فتح القدير، تأليف: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني (ت: ١٢٥٠هـ)، نشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، ط١، ١٤١٤ هـ..

٤٥. فضائل القرآن، تأليف: أبو عبيد القاسم بن سلام، تحقيق: مروان العطية، ومحسن خرابة ووفاء تقي الدين، نشر: دار ابن كثير دمشق وبيروت، ط١، ١٤١٥هـ.

٤٦. كتاب التعريفات، تأليف: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت: ٨١٦هـ)، نشر: دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.

٤٧. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، تأليف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت: ٥٣٨هـ)، نشر: دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٤٠٧ هـ.

٤٨. الكشف والبيان عن تفسير القرآن، تأليف: أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (ت: ٤٢٧ هـ)، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، نشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٢، هـ - ٢٠٠٢ م.

٤٩. لباب التأويل في معاني التنزيل، تأليف: علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن (ت: ٧٤١هـ)، تصحيح: محمد علي شاهين، نشر: دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ١٤١٥ هـ..

٥٠. اللباب في علوم الكتاب، تأليف: أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي (ت: ٧٧٥هـ)، تحقيق: الشيخ عادل أحمد وعلي محمد معوض، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩ هـ -١٩٩٨م.

٥١. لسان العرب، تأليف: جمال الدين ابن منظور الأنصاري، نشر: دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤ هـ

٥٢. مجلة (الدعوة) العدد (١٦٦٠) بتاريخ ٤ جمادى الآخرة ١٤١٩هـ..

٥٣. مجموع الفتاوى، تأليف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (ت: ٧٢٨هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، نشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة السعودية، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.

٥٤. مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله (ت: ١٤٢٠هـ)، أشرف على جمعه وطبعه: محمد بن سعد الشويعر، بدون تاريخ.

٥٥. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تأليف: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي (ت: ٥٤٢هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، نشر: دار الكتب

العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ

٥٦. المستدرك على الصحيحين، تأليف: أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (ت: ٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، نشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١١ – ١٩٩٠

٥٧. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ (صحيح مسلم)، تأليف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت: ٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، نشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٥٨. معاني القرآن، تأليف: أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء (ت: ٢٠٧هـ)، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي / محمد علي النجار / عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، نشر: دار المصرية للتأليف والترجمة – مصر، ط١، بدون تاريخ.

٥٩. معجم اللغة العربية المعاصرة، تأليف: د أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت: ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل، نشر: عالم الكتب، ط١، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م.

٦٠. المعجم الوسيط، تأليف: إبراهيم مصطفى وآخرون، تحقيق: مجمع اللغة العربية، دار الدعوة.

٦١. معجم مقاييس اللغة، تأليف: ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس، نشر: دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٣٩٩م.

٦٢. المفردات في غريب القرآن، تأليف: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (ت: ٥٠٢هـ)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، نشر: دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت، ط١، – ١٤١٢ هـ

٦٣. ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل، تأليف: أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، أبو جعفر (ت: ٧٠٨هـ)، وضع حواشيه: عبد الغني محمد علي الفاسي، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٦٤. منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، تأليف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم

ابن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (ت: ٧٢٨هـ)، تحقيق: محمد رشاد سالم، نشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط١، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.

٦٥. النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم، تأليف: محمد بن عبد الله دراز، (ت: ١٣٧٧هـ)، نشر: دار القلم للنشر والتوزيع ،١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م

٦٦. نظرية السياق القرآني، تأليف: المثنى عبد الفتاح محمود، نشر: دار وائل للنشر، ط١، عمان، ٢٠٠٨م

٦٧. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، تأليف: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت: ٨٨٥هـ)، نشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

٦٨. وسائل الربط في القرآن من خلال السياق، (رسالة ماجستير) جامعة الكويت، إعداد: رابحة محمد ضعين سعد، إشراف الدكتور: يحيى على أحمد، بدون تاريخ.

٦٩. الوسيط في تفسير القرآن المجيد، تأليف: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت: ٤٦٨ هـ) تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الدكتور أحمد محمد صيرة، الدكتور أحمد عبد الغني الجمل، الدكتور عبد الرحمن عويس، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٥هـ، ١٩٩٤ م.

محتويات البحث

الملخص ١٨٩
مقدمة ١٩١
الفصل الأول: التعريف بمصطلحات البحث: علم السياق القرآني، وغوامض التفسير ١٩٣
المبحث الأول: علم السياق القرآني وأهميته في التفسير ١٩٣
المطلب الأول: تعريف السياق لغة واصطلاحًا. ١٩٣
المطلب الثاني: أهمية دلالة السياق القرآني في التفسير ١٩٦
المبحث الثاني: غوامض التفسير وموقعها من البيان ١٩٩
المطلب الأول: غوامض التفسير لغة واصطلاحًا: ١٩٩
المطلب الثاني: مكانة غوامض التفسير من البيان ٢٠١
الفصل الثاني: الدراسة التطبيقية لأثر السياق في حل غوامض التفسير ٢٠٣
المبحث الأول: أثر السياق في تعيين المبهمات ٢٠٣
المبحث الثاني: أثر السياق في توجيه أسباب التغاير في الآيات المشتبهات ٢٠٦
المبحث الثالث: أثر السياق في توجيه آيات أشكل تفسيرها ٢١١
الخاتمة ٢١٨
فهرس المصادر والمراجع ٢١٩
محتويات البحث ٢٢٧